

أصل الحضارة وبداية تشكلها من منظور الدكتور عماد الدين خليل

رؤى رسمي راشد

أشراف أ. د سعدي محمد عواد

جامعة الأنبار /كلية التربية للبنات

المقدمة

الحمد الله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا , الحمد لله الذي أتم النعم والصالحات والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين نبينا محمد (ﷺ)في الوقت الحالي تقوم بعض الجهات بتدمير وتشويه تاريخ الحضارة الإسلامية, الأمر الذي دفع العديد من المفكرين إلى العودة إلى التاريخ ,ومحاولة إظهار زيف تلك الجهات, وكان الدكتور عماد الدين ممن ساهم في اظهار تلك الحقيقية, محاولاً تقديم منهاج جديد لدراسة الحضارة الإسلامية وسنبين في هذا البحث الجهود والخطوات التي وضعها الدكتور عمادالدين خليل من أجل تنقية التاريخ, الذي شابه الكثير من الغبار في الآونة الاخيرة, لهذا سيتضمن البحث(التمهيد) الذي سيكون فيه التعريف بالدكتور عمادالدين خليل , وسنقسم البحث الى مطلبين المطلب الأول سيكون بعنوان بداية تشكل الحضارة الذي سنناقش فيه أهم المراحل التي مرت بها الحضارة الإسلامية من وجهة نظر الدكتور عمادالدين خليل , أما المطلب الثاني سيكون عن المفهوم الإسلامي للرؤية الحضارية وفي الختام سيكون هناك خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها , وايضا المصادر والمراجع.

التمهيد

قبل نبدأ حديثنا لابد من تعريف الدكتور عمادالدين خليل , عماد الدين خليل هو عماد الدين خليل الطائي من قبيلة طي في الموصل أديب ومؤرخ ومفكر إسلامي عراقي معاصر ولد في مدينة نينوى في العراق سنة ١٣٥٩ هـ/١٩٤١م وهو لازال على قيد الحياة في مدينة الموصل في نينوى اذ يقول في كتابة الذي تحدث فيه عن سيرته الذاتية واختار لها عنوان (أشهد أن لا أله إلا الله) وكان سبب هذه التسمية كما يقول ان منذ بدايات علاقته بالعلم او الكلمة كان هدفة من ذلك محض لله تعالى وكان يسعى لمقارعة خصومة في هذا الدين ويبين لهم تفوقه متمحور عند مفهوم التوحيد الذي يشكل الحضارة والحياة ووجودنا بشكل عام, اما حالته الاجتماعية متزوج وله ولد اسمة(محمد) وابنتان (مها)و(علا),فشقيقه نبيل خليل مهندس وكاتب قصة مشهور .(١تقوم مناهج دراسة التاريخ في الوقت الحالي على تقديم صورة مخالفة تماما لحقيقة الحضارة الإسلامية وتاريخها المشرق, وكان الدكتور عماد الدين من أشد المنتقدين لهذه المناهج, إذ إنّ الحقيقة التي تقع في الوقت الحالي أن تلميذ الثانوية والطالب الجامعي يتخرج وهو لا يكاد يملك معرفة معمقة بخصائص حضارته الإسلامية، وبالمكونات التي تميزها عن الحضارات الأخرى، فضلاً عن أنه يتخرج وهو لا يملك الاعتزاز بحضارته والفخر بها، لهذا سنتناول في هذا البحث مطلبين نسلط الضوء فيهما على كيفية تشكل الحضارة الإسلامية, وأهم النقلات التي لعبت دورا مهما في فهم الدين الإسلامي على ما هو عليه اليوم, وأيضًا سنناقش في المطلب الثاني الرؤية الإسلامية للحضارة, وكيف يرى الإسلام والحضارة, ومتى بدأت؟ وعليه يمكن تقسيم هذا البحث الى مطلبين:

المطلب الأول بداية تشكل الحضارة الإسلامية

في عصر ما يسمى بصراع الثقافات, زمن الغزو الفكري, ومحاولات الاحتواء, ومنذ بداية هذا الصراع وانتشاره بصورة كبيرة, ومحاولة الغرب السيطرة على أفكار شباب المستقبل ,عن طريق نشر الثقافة الغربية بين الشعوب العربية, ما كان من المفكر والمؤرخ الدكتور عماد الدين خليل سوى العمل على التذكير ببداية الحضارة الإسلامية وأصولها, ومن ثمّ غرس ذلك في نفوس الطلبة وعقولهم وخصوصية الاعتزاز بحضارتهم، والثقة ليس فقط بقدرتها على الانبعاث، وإنما بمواصلتها النمو كرة أخرى ,وتقديمها الوعد بالخلاص للبشرية المعاصرة ,التي أوصلتها الحضارة الغربية المادية، والأديان المحرفة، والمحاولات التلفيقية، إلى طريق مسدود (٢).إن أهم ميزة قد تميز أي حضارة هي قدرتها على الانبعاث من جديد, وهذا ليس عبثاً أن تكون الحضارة الإسلامية الوحيدة من بين سائر الحضارات التي شهدها التاريخ البشري, التي لديها القدرة على الانبعاث والنهوض مرة ثانية وثالثة ورابعة في القرن العشرين أو الحادي والعشرين، لأنها تملك في أية لحظة شبكة شروطها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ﷺ), وتجد في الوقت الملائم – دائماً – رحمها الذي يمكنها من أن تنمو فيه كل مرة ، لكي تخرج إلى الحياة وهي تحمل قدرتها على التنامي, لكي تستوي على سوقها, لذلك عندما جاء الإسلام لم يكن العرب يملكون حضارة متميزة, كانوا يعيشون حالة استعارة ميكانيكية، إذا صح التعبير مفردات من هنا وأخرى من هناك، فيما هو شبيه – إلى حد ما – بوضعنا زمن الصدمة الحضارية الغربية في القرنين الأخيرين(٣).ويرى الدكتور عماد الدين ان الإسلام كان له ثلاث نقلات شكلت المناخ الملائم للتشكل الحضاري:

أولًا: النقلة التصورية الاعتقادية: تعتبر هذه المرحلة من اهم مراحل النقلات الحضارية, لأنها بمثابة القاعدة التي بنيت عليها سائر التحولات, فهي بداية التوجه الإنساني من التعدد إلى التوحيد، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن عشق الحجارة والأصنام والتماثيل والأوثان

إلى محبة الحق الذي لا تلمسه الأيدي ولا تراه العيون.. وكسر للحاجز المادي باتجاه الغيب، وتمكين للعقل من التحقق بقناعات تعلو على الحس القريب, لقد تحدث القرآن الكريم عن هذه النقلة قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] التحول الكامل من الأسود إلى الأبيض، والانتقال من النقيض إلى النقيض, إن العقيدة الجديدة جاءت لكي تنقل الإنسان إلى السعة والعدل والتوحيد.(٤)ولكي ندرك البعد الشاسع لهذه النقلة التصورية في مجال العقيدة نستطيع ان نستحضر شيئاً من ممارسات العقل العربي في الجاهلية، يقول ابن الكلبي(٥): كان الذي سلخ بالمكيين إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرًا من حجارة الحرم، تعظيما للحرم وصبابة بمكة، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة.. ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم.(٦) ويحكي ابن الكلبي عن الأصنام التي اتخذها العرب آلهة: سواع, ود, يغوث, نسر, مناة, اللات, العزى, هبل, أساف, نائلة, ذو الخلصة, ذوالكفين, ذو الشرى الأقيصر, نهم, رائم, سعيد, الفلس, سعد, اليعبوب, باجر, عميانس ولم تكن هذه الاصنام منتشرة فقط في الصحراء بل على عكس من ذلك كان انتشارها في المدن الاكثر تقدما وكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفر كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضاً.(٧)وكان لأهل الشام صنم يقال له (الأقيصر) فكانوا يحجونه ويحلقون رؤوسهم عنده ,فكانوا كلما حلق رجل منهم رأسه ألقى مع كل شعرة قبضة من دقيق وكان مالك بن حارثة يبعث به أبوه باللبن إلى ود، ويقول: اسق إلهك ويقول مالك: فأشربه! وهذا الحال هو حال قبيلة من قبائل بني حنيفة التي كانت إذا جاعت أكلت إلهها المصنوع من التمر, ثم جاء الإسلام لكي يخرج الإنسان إلى آفاق التوحيد، ونضج التصور، ونقاء الاعتقاد.. فيحرر عقله وروحه ووجدانه، ويعيد تشكيله من جديد, لقد بنيت العقيدة الإسلامية على حشد من القيم التصورية، كالربانية والشمولية والتوازن والثبات والتوحيد والحركية والإيجابية والواقعية الجديد، ويدفعه في الوقت نفسه إلى الحركة والإبداع(٨).

ثانياً: النقلة المعرفية: يرى الدكتور عماد الدين أن النقلة الثانية التي جاءت في أصل الحضارة الإسلامية هي نقلة المعرفة وعبر المسيرة الطويلة، مسيرة الاثنتين والعشرين سنة، جاء التأكيد على فعل القراءة والتفكير، والتعقل والتفقه والتدبر, لم تخفت نبرتها أبدا لا في العصر المكي, أو هنا في العصر المدني, وليس عبثًا حين جاءت أول كلمه في القرآن هي إقرأ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ١ – ٥], إن المتعارف عليه والذي لا يخفى على جاهل وعالم, كم أن الإسلام أعطى للمعرفة والتعلم دور كبير, فحين نقرأ القرآن الكريم لا يكاد يكون هناك أية ألا وجاء في معناها إما طلب التدبر, أو التفكر والنظر, فالمعرفة جزء لا يتجزأ من الدين, وإن نسيج القرآن الكريم نفسه، ومعطياته المعجزة، من بدئها حتى منتهاها، في مجال العقيدة، والتشريع، والسلوك، والحقائق العلمية تمثل نسقاً من المعطيات المعرفية, كانت كفيلة بمجرد التعامل المخلص الذكي المتبصر معها أن تهز عقل الإنسان ,وأن تفجر ينابيعه وطاقاته, وأن تخلق في تركيبه خاصية التشوق المعرفي لكل ما يحيط به من مظاهر ووقائع وأشياء(٩).إن أسلوب القرآن في الهيمنة والتصديق على جميع ما سبقه من معارف مصدرها الأصلي هو الوحي, يضفي صفة العالمية على فلسفة التربية الإسلامية المنبثقة عن القرآن الكريم ذاته, بل ويدفعها لاستخدام الأسلوبين كليهما في وجه الأفكار التربوية الرامية إلى فرض سيطرتها على ما عداها من المذاهب والأفكار الأخرى, بما في ذلك فلسفة التربية الإسلامية بطبيعة الحال(١٠).لذلك كان القرآن الكريم يتعامل مع خامة لم تكن قد حظيت من المعرفة إلا بالقسط اليسير مع جيل من الناس لم يبعد – بعد – عن تقاليد الجاهلية وقيمها، وطفولتها الفكرية.. لكنه استطاع بقوة الإيمان المعجون بالدعوة الجديدة، أن يعلمهم, ويكون ذلك بداية جديدة لتشكيل عقولهم, لكي تكون قديرة على استيعاب المضامين الجديدة، مدركة للأبعاد الشاسعة التي جاء بها هذا الدين لكي يتحرك الإنسان صوب آفاقها الرحبة.(١١)وما كان ذلك ليتحقق لولا إشعال فتيلة التشوق المعرفي للمسلم، ودفعه إلى البحث والتساؤل والجدل, الأمر الذي أدى إلى انتهاء عصر السكون والجهل, وجاء عصر الحركة الذي جعل العقل المسلم نفسه ملزماً بمنطق الإيمان نفسه، بأن يتحول لكي يتلاءم مع التوجه المعرفي الذي أراده الدين الجديد(١٢) والامثلة في القرآن الكريم كثيرة والتي يطلب الله سبحانه من الناس أن يتدبروا ويبحثوا ويكتشفوا حقيقة الاشياء ومنها قوله تَعَالَى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩] قَوْله تَعَالَى: {كتاب أَنزَلْنَاهُ إِلَيْك مبارك} أَي: هَذَا كتاب أَنزَلْنَاهُ إِلَيْك مبارك, وَقَوله: {ليدبروا آيَاته} أَي: ليتدبروا



ويتفكروا فِي آيَاته، وَقَوله: {وليتذكروا أولو الْأَلْبَاب} أَي: يتَذَكَّر أولو الْعُقُول، قَالَ الْحسن فِي قَوْله: {أولو الْأَلْبَاب} عَاتَبَهُمْ لِأَنَّهُ أحبهم.(١٣)

ثالثاً: النقلة المنهجية: أمّا النقلة الثالثة، فلم تكن لتقل عن سابقاتها خطراً بحال من الأحوال, وهي ترتبط بشكل ما بهما، وتنبثق عنهما في الوقت نفسه, فالمنهج له دور كبير في حركه الإنسان الفكرية والحضارية عموما, ودون المنهج لا يمكن الوصول إلى الهدف مهما بذل الإنسان من جهد وعطاء, يقول الدكتور عماد الدين: النقلة المنهجية التي أتيحت للعقل المسلم أن يتحقق بها، وأن يتشكل وفق مقولاتها ومعطياتها, امتدت باتجاهات ثلاثة: السببية، القانون التاريخي، منهج البحث الحسي التجريبي.(١٤) لذلك لابد من شرح تلك الاتجاهات حسب وجه نظر الدكتور عماد الدين حتى تكون بينة واضحة المعالم:

أ – السببية واحدة من تلك الافكار المنهجية ,بل لعلها من أهم تلك الافكار, إذ لها الدور الأكبر في تشكيل النسق المعرفي للاتجاه أو المذهب (١٥) اما الدكتور عماد الدين فيقول من خلال النظر إلى آيات الله سبحانه وتعالى يتبين بشكل واضح كيف منحت تلك الآيات بينات العقل المسلم رؤية تركيبية للكون والحياة والإنسان والوجود, وتبحث وتعاين وتتفكر، بين الأسباب والمسببات, تسعى إلى أن تضع يدها على الخيط الذي يربط بين الظواهر والأشياء.(١٦)إن الآيات التي تطلب من الإنسان النظر لما حوله كثيرة لا تكاد تحصى فتجد تدبروا تفكروا كثيرة في القرآن الكريم وعلى سبيل المثال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٦], {لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} يحتمل وجهين: أحدهما: تعتبرون, لأن المفكر معتبر. والثاني: تهتدون, لأن الهداية التَّفَكُّر.(١٧)ويقول الدكتور عماد الدين: لقد أراد القرآن الكريم أن يجتاز بالعقل العربي مرحلة النظرة التبسيطية، المسطحة، المفككة التي تعاين الأشياء والظواهر كما لو كانت منقطعة معزولة منفصلا بعضها عن بعض, ولقد تمكن القرآن الكريم بطرقه المستمرة على العقلية التبسيطية أن يعيد تشكيلها لتبعث من جديد بالصيغة التي أرادها لها: عقلية تركيبية، تملك القدرة على طرائق القرآن المنبثة عبر سوره ومقاطعه من أقصاها إلى أقصاها، هي التأكيد على ضرورة اعتماد هذه الرؤية السببية للظواهر والأشياء من أجل الوصول إلى معجزة الخلق ووحدانية الخالق سبحانه, إذ بدون هذه القدرة على الربط بين الأسباب والمسببات فإن العقل المؤمن لن يكون قادراً على التحقق بالقناعات الكافية، ولن يكون بمقدور آيات الله المنبثة في الطبيعة والعالم والوجود أن تحدث فينا هزة الإيمان العميق المتمخض دوماً عن اكتشاف الارتباط المحتوم بين معجزة الخلق وبين الخالق.(١٨) وقد كان للزمخشري(١٩) قول حول السببية والأسباب قال: (السبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو أله ,فالمنظور اليه في كون الشي سببا هو كونه موصلا إلى غيره, سواء كان هذا الشي ماديا كآلة من الآلات المادية ,أو كان معنويا كالعلم والقدرة)(٢٠).فمن الاسباب المادية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٢].«جعل لكم الأرض فراشا» ثم الأرض التي هي مكانه ومستقره، يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه، ثم السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المبّنية على هذا القرار (٢١) ومن الأسباب المعنوية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٩]. فقوله تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذين آمنُوا إِن تَتَّقُواْ الله} فيما أَمركُم ونهاكم {يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً} نصرة وَنَجاة {وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} دون الكبائر {وَيَغْفِرْ لَكُمْ} سَائِر الذُّنُوب {وَالله ذُو الْفضل} ذو الْمَنّ {الْعَظِيم} على عباده بالمغفرة والجنّة.(٢٢) إن كون الشيء سبباً لغيره أو كونه مسبباً عن غيره ، هو من فعل الله تعالى وحكمه ، فهو تعالى خالق الأسباب والمسببات. ولولاه لما صار هذا الشيء سبباً لغيره , ولا صار هذا الغير مُسبَّبا عنه, ومعنى ذلك :أن السبب إنما يعمل ويستدعي مسبّبه بموجب سنّة الله ونفاذها, وإن الكشف عن السببية والأخذ بشروطها المنهجية كسب كبير للعقل البشري، وإضافة قيمة مكنته من إعادة التشكل في صيغ أكثر قدرة على العطاء والإبداع.(٢٣)

ب- القانونية التاريخية: إن التاريخ البشري لا يتحرك فوضى وعلى غير هدى، وإنما تحكمه سنن ونواميس كتلك التي تحكم الكون والعالم والحياة والأشياء سواء بسواء, إن الوقائع التاريخية لا تنمو بالصدفة، وإنما من خلال شروط خاصة تمنحها هذه الصفة أو تلك، وتوجهها صوب هذا المصير أو ذاك, (القانون يحكم التاريخ) تلك هي المقولة التي لم يكن قد كشف النقاب عنها قبل نزول القرآن الكريم, إن كتاب الله يقدم أصول منهج متكامل في التعامل مع التاريخ البشري، والانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع فحسب، إلى محاولة استخلاص القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية التاريخية.(٢٤)هناك الكثير من الآيات التي تدل في معناها على التأريخ قد لا استطيع ذكرها كلها

ولكن يكفي أن نأخذ مثالاً توضيحياً على ذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة: ٢٧]. تعتبر هذه الآية جزء من التأريخ حيث ذكر فيها قصة بداية الخلق, اذ تتضمن في معناها أن هابيل وقابيل, كان أحدهما صاحب زرع, والأخر صاحب ماشية, فجاء أحدهما بخير ماله, وجاء الآخر بشر ماله, فجاءت النار فأكلت قربان أحدهما , وهو هابيل , وترك قربان الأخر, فحسده فقال{لَأَقْتُلَنَّكَ}.(٢٥)إن القرآن يطرح على العقل البشري ولأول مرة مسألة السنن والنواميس التي تسير حركة التاريخ وفق منعطفها الذي لا يخطئ وعبر مسالكها المقننة التي ليس إلى الخروج عليها من سبيل، لأنها منبثقة من صميم التركيب البشري ومعطياته المحورية الثابتة, فطرة وغرائز وأخلاقا وفكرا وعواطف ووجداناً، ومن قلب العلاقات والوشائج والارتباطات الظاهرة والباطنة في العالم الذي يتحرك فيه الإنسان، أي تأخر أو اهتزاز في نفاذ هذه السنن، سوف يؤول إلى تمييع الحركة التاريخية، وعدم انضباطها جزئياً، وبالتالي يؤول إلى موقف نقيض لمفاهيم الحق والعدل, وعلى العكس فإن أي تأخر أو اهتزاز في نفاذ هذه السنن، سوف يؤول إلى تمييع الحركة التاريخية، وعدم انضباطها جزائياً، وبالتالي يؤدي موقف نقيض لمفاهيم الحق والعدل(٢٦) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٧ – ١٣٨]. (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ) يحتمل في المكذبين بالرسل والمصدقين، (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) يحتمل: لو سرتم فيها لرأيتم آثارهم، ولعرفتم بذلك ما إليه ترجع عواقب الفريقين, ويحتمل: الأمر بالتأمل في آثارهم، والنظر في الأنباء, عنهم ليكون لهم به العبر, وعما هم عليه مزدجر, ويحتمل السنن الموضوع من الأحكام وبما به امتحن من قبلهم؛ ليعلموا أن الذي بلوا به ليس ببديع؛ بل على ذلك أمر من تقدمهم(٢٧).يبين لنا القرآن في أكثر من موضع ثبات هذه السنن ونفاذها وعدم تبدلها أو تحولها، بل هي موجودة أساساً في صميم التركيب الكوني، وفي قلب العلاقات المتبادلة بين الإنسان والعالم, ولم يفعل القرآن سوى أن كشف عنها النقاب وأكد وجودها وثقلها في حركة التاريخ، وأنها لا تأسر نفسها في تفاصيل وجزئيات موقوتة، بل تمتد وتمتد مرنة منفتحة شاملة، لكي تضم أكبر قدر من الوقائع، وتلامس أكبر عدد من التفاصيل والجزئيات، وتبقى دائماً الحصيلة النهائية، والرموز المكثفة، والدلالات الكبرى لحركة التاريخ, والقرآن الكريم لا يؤكد ثبات هذه السنن وديمومتها فحسب، ولكنه يحولها في الوقت نفسه إلى دافع حركي يفرض على الجماعة المؤمنة أن تتجاوز مواقع الخطأ التي قادت الجماعات البشرية السابقة إلى الدمار، وأن تحسن التعامل مع قوى الكون والطبيعة، مستمدة التعاليم والقيم من حركة التاريخ نفسه.(٢٨) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[السجدة: ٢٦] (كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ) قد رأوا آثار الذين أهلكوا بتكذيبهم الرسل، وتعنتهم ومكابرتهم، لكنهم لم يعتبروا بذلك.(٢٩)

ج ـمنهج البحث الحسي (التجريبي) :ان الكشف عن السببية والقانونية التاريخية لا يعدل الكسب المعرفي القيم الذي أحرزه العقل المسلم خصوصاً، والعقل البشري عموماً، والذي تمثل بمنهج البحث الحسي (التجريبي) الذي كشف النقاب عنه ونظمه وأكده كتاب الله, لقد دعا القرآن الناس إلى التبصر بحقيقة وجودهم، وارتباطاتهم الكونية عن طريق النظر الحسي إلى ما حولهم، ابتداء من مواقع أقدامهم وانتهاء بآفاق النفس والكون، وأعطى للحواس مسؤوليتها الكبيرة عن كل خطوة يخطوها الإنسان المسلم في مجال البحث والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب(٣٠).قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦ – ٣٧] لا ترم ما ليس لك به علم، ولا تقل ما ليس لك به علم, (كُلُّ أُولَئِكَ) يعني: السمع والبصر والفؤاد يُسأل عما عمل صاحبه.(٣١) وناداه ان يمعن النظر إلى طعامه وشرابه وما حوله من النعم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [عبس: ٢٤ – ٣٢], يقول تعالى ذكره: فلينظر هذا الإنسان الكافر المُنكر توحيد الله إلى طعامه كيف دبَّره, (ثُمَّ شَقَقْنَا الأرْضَ شَقًّا) يقول: ثم فتقنا الأرض فصدّعناها بالنبات(٣٢).وكذلك ينظر إلى خلقه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الطارق: ٥ – ٨] جاءت الآية بمعنى فإن لا يصدق هذا الإنسان بالبعث (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ), الأصل أن إمعان النظر فيما خلق منه الإنسان مما يوصل المنكرين للبعث والمنكرين للرسالة إلى القول بهما، وذلك أن النطفة التي خلق منها الإنسان لو رئيت موضوعة على طبق، ثم رام أحد أن يعرف وأن ينتزع منها المعنى الذي به صلح أن ينشأ منها العلقة والمضغة وخلق منها الإنسان لم يدرك، ولو اجتمع الإنس والجن على أن يركبوا عليها جارحة من جوارح الإنسان، لم يتهيأ لهم تركيبها، أو تعرّف المعنى الذي صلح أن ينشأ منه السمع والبصر،

لم يوفقوا عليه؛ فتبين أن الذي بلغت قدرته هذا لا يخفى عليه أمر، ولا يعجزه شيء.[٣٣] والنظر أيضًا إلى النواميس الاجتماعية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإسراء: ٢١] {انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} أي في الدُّنْيَا وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا وإن للمؤمنين في الْجَنَّة منازل وإن لَهُمْ فضائل بأعمالهم[٣٤]. يقول الدكتور عماد الدين: (ان القرآن اكد على الأسلوب الذي يعتمد الحجة والبرهان والجدال الحسن للوصول إلى النتائج الصحيحة، القائمة على الاستقراء والمقارنة، والموازنة والتمحيص استنادا إلى المعطيات الحسية الخارجية المتفق عليها، والقدرات العقلية التي تعرف كيف تتعامل مع هذه المعطيات)[٣٥]وإذ ما أمعنا النظر في الآيات القرآنية سنلاحظ انها تؤكد كل مرة على أن السمع والبصر والفؤاد هي التي تعطي قيمة حقيقية للإنسان عن طريق تحريكه الطاقات والقوى من حوله, وعن طريق استغلال تلك القوى من أجل انتصاره الديني والعلمي, إنّ انتصارات الإنسان على الأرض تعطيه مركز المسؤول, مركز سيد العالمين وخليفة الله في الأرض.. ان الله حين منح الإنسان تلك النعم التي تميزه عن البهائم والانعام أراد منه أن يستغل تلك النعم؛ لأنه خلقه من غير طينة الأنعام والبهائم[٣٦] قال تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الإنسان: ٢] {فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً} أي: ذا سمع وذا بصر لِتقُوم عليه الحجة إنا خلقنا الإنسان سميعاً بصيراً من نطفة أمشاج لنختبره.[٣٧]وحشد آخر من الآيات بلغ ما يقرب الخمسين أية، حث على تحريك العقل المفتاح الذي منحه الله بني آدم، والذي يتوجب اعتماده لكي تمضي الكشوف والمعطيات التجريبية إلى غايتها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة:٤٤]. أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وذلك أن اليهودَ قَالُوا لبعض أصحاب النَّبِيّ(ﷺ)إن محمد حق فاتبعوه ترشدوا، فَقَالَ اللَّه (ﷻ)لليهود أتأمرون الناس بالبر يعنى أصحاب محمد وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ يَقُولُ وتتركون أنفسكم فلا تتبعوه وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ يعني التوراة فيها بيان أمر محمد ونعته أَفَلا تَعْقِلُونَ[٣٨].وكذلك ورد التفقه وهو خطوة أبعد مدى من التفكر وأعمق, تجعل الإنسان أكثر وعياً لما يحيط به، وأعمق إدراكاً لأبعاد وجوده وعلائقه في الكون، كما تجعله منفتح البصيرة مستعداً للحوار المسؤول إزاء كل ما يعرض له على صفحة العالم والوجود, قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴾ [النساء: ٧٨] وَقَوله: {لا يكادون يفقهُونَ} أَي: لَا يتدبرون، وَالْفِقْه هُوَ التدبر والتفهم. وَقيل: فهم لَا يفقهُونَ أَي: لَا يعْقلُونَ، كَأَنَّهُمْ لم يقبلُوا الدّين مَعَ ظُهُور الدَّلَائِل عَلَيْهِ بِمَنْزِلَة من لَا يعقل.[٣٩] والحديث عن الآيات التي تطلب من الإنسان التدبر لما حوله كثيرة لا يسع المجال لذكرها جميعها ولكن الحقيقة التي نستطيع أن نستخلصها :أن العلم بمفهومه الواضح الشامل له فاعلية في غاية الأهمية في المجتمعات التي ترتضي الدين أو المنهج الإلهي طريقة لها في الحياة.[٤٠]من خلال ما سبق عرضة في هذا المطلب بخصوص رؤية الدكتور عمادالدين خليل تشكل الحضارة الأسلامية ومحاولة انبعاثها من جديد وأستنهاض مقوماتها وعناصرها فيبدو لي كباحث ان ما ذكره هنا يمثل جانباً من فلسفته الفكرية ورؤيته الشخصية في أستعادة دور الأمة في أستعادة ذاتها المغيبة المسلوبة, وعودتها لقيادة الفكر البشري من جديد كما كانت في عصرها الزاهر الذي أثرت خلاله وأبدعت بكل ماهو مفيد ونافع, بل وأرتقت بفكرها الى درجة لم تسبقها لها أمة أخرى, وهذا مما شهد ويشهد به المفكرون المنصفون من غير المسلمين.

المطلب الثاني المفهوم الإسلامي للرؤية الحضارية

سنتطرق في هذا المطلب عن الكيفية التي يتم بها دراسة الحضارة أو المفهوم الإسلامي للرؤية الحضارية, إذ أن الدين وفق هذه الرؤية يبدو برنامجا حضاريا, اذاً نحن هنا بصدد القول أن هدف الحركة الحضارية في الإسلام هي أن عبادة الله وحده بالمفهوم الديني الشامل هي التي يتوجب على الإنسان فردا وجماعة, ان يصعد إليه كافة أوجه نشاطاته الحضارية, بينما ترسم المذاهب الوضعية هي الأخرى أهدافا لحركتها الحضارية تتميز حينا بالغموض والمثالية, وتتميز حينا أخر بالتحديات المادية الصارمة, فأما الخيار الأول فيتحدث عن تجلي المتوحد من خلال الدولة إلى أن يعطيها كافة المبررات الفلسفية لممارسة سياستها العدوانية التي تقود ولا ريب إلى الدمار الحضاري والظلم البشري, وقادة الآخرين إلى اعلان مبدأ دكتاتورية الطبقة العاملة ,وتبرير أي اسلوب تعتمده لتحقيق هدفها ,مادامت لا تعدوا أن تكون منفذة أمينة لمنطق التبدل في وسائل الإنتاج ,الأمر الذي قادها إلى تنفيذ المجازر الجماعية اتجاه كافة القوى المعارضة, والتي لا تنسجم وبداهات التحضر البشري الحر.[٤١]ليس مفهوم العبادة هنا مساحة ضيقة, ولكنها تتجاوز دائرة الشعائرية والاتصال الروحي بالله إنه تجربة حياة كاملة يتوازن فيها الأخذ والعطاء, وتغدوا أشبه بالبرنامج الشامل الذي ينظم فاعليات الجماعات البشرية في الأرض, ويمنحها معنى يسير بها إلى هدف واضح مرسوم, انه يمنح التجربة الحضارية طابعها الخاص, ويعطيها الدافع والمبرر , وينفخ فيها روح الابداع والابتكار والتطور الدائم الفعال,

كما انه يتجاوز بها السفوح الدنيا للنشاط البشري إلى القمم التي تليق بمكانة الإنسان في العالم, وبهذا تسقط كافة السلبيات التي يمكن أن تعلق بأي نشاط حضاري لا يتعمد برنامجا شاملا, أو لا يسعى إلى هدف واضح, ولا يلتزم اخلاقية الإنسان في حواره مع خالقه.(٤٢)نستطيع أن نقول: إن بمقدور المسلم وهو يتفحص هذا الدين أن يلمح في تركيبه خطين متوازيين, كان وجودهما معا بمثابة حماية لذاتية الإسلام, وتمكين له في الوقت نفسه من التحرك والانفتاح لكي, يجابه سائر الحالات والمتغيرات, ويستجيب لمختلف الخبرات والتحديات, أما الخط الأول: فيتمثل بعناصر الديمومة والثبات التي لا يطالها التغيير والتي تتأبى على المتغيرات بسبب كونها حقائق أبدية تجابه حالات دائمة لا تخضع للتبدلات, أمّا الخط الثاني: فيتمثل بتلك الامكانات المرنة التي منحها الإسلام أتباعه كي يجتهدوا أنْ يجابهوا بها المتغيرات, ويستجيبوا للحالات المتجددة استنادا إلى الأسس والعناصر الدائمة الثابتة, وهكذا يمضي الإسلام القرون تلو القرون وهو يحمل قدرته المزدوجة على حماية ذاته في مواجهة العالم, فيما لم تشهده أية عقيدة أو مذهب آخر, ويحمل مع هذه قدرته الأخرى على التكيف والملائمة والاستجابة .(٤٣)

وفي جانب آخر ينتقل الدكتور عماد الدين للحديث عن دور الإنسان الحضاري ليؤكد: أن مبدأ التسخير المتوازن الذي يأخذ الإنسان إلى نقطة التوتر والقدرة على الاستجابة والفعل والاعمار ويتجاوز التكشف الكامل أو الانغلاق الكامل اللذان يستحيل معهما الفعل والابداع ,هناك الكثير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن ذلك التسخير للعالم والطبيعة لخدمة الدور الذي انيط بالإنسان في الأرض, وهو بعيد كليا عن التصورات السلبية لعديد من المذاهب الوضعية التي جردت الإنسان من كثير من قدراته الفاعلة, وحريته في حواره مع كتلة العالم وتطرف بعضها ,فأخضعته اخضاعا كاملا لمشيئة هذه الكتلة وإرادة قوانينها الديناميكية الخاصة, التي تجيء بمثابة أمر لا مرد له, وليس بمقدور الإنسان إلا أن يخضع ويساير ويقبل هذا الذي تأمر به.(٤٤) ونستطيع أن نذكر بعض الآيات القرآنية التي تبين أنّ كل شيء على الأرض مسخر للإنسان قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النحل: ١٤] في توحيد الله- عز وجل- وما ترون من صنعه وعجائبه وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وهو السمك ما أصيد أو ألقاه الماء وهو حي, وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها يعني: اللؤلؤ, وَتَرَى الْفُلْكَ يعني السفن مَواخِرَ فِيهِ يعني في البحر مقبلة ومدبرة بريح واحدة, وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ يعني سخر لكم الفلك لتبتغوا من فضله وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.(٤٥)وقَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: ٢٠] قول الحق جلّ جلاله: أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ، يعني: الشمس، والقمر، والنجوم، والسحاب، والمطر، وغير ذلك، وَما فِي الْأَرْضِ، يعني: البحار، والأنهار، والأشجار، والثمار، والدواب، والمعادن، وغير ذلك، وَأَسْبَغَ: أتم عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ، بالجمع، والإفراد إرادة الجنس. والنعمة: ما يسر به الإنسان ويتلذذ به، حال كونها ظاهِرَةً ما تدرك بالحس، وَباطِنَةً ما تدرك بالعلم والوجدان, فقيل: الظاهرة: السمع، والبصر، واللسان، وسائر الجوارح الظاهرة، والباطنة: القلب، والعقل، والفهم، وما أشبه ذلك, أو: الظاهرة: الصحة، والعافية، والكفاية والباطنة: الإيمان، واليقين، والعلم، والمعرفة بالله.(٤٦)إنّ الحد الآخر للهيكل الحضاري في الرؤية الإسلامية هو الإنسان حيث تبدأ بخلق آدم عليه السلام, باعتباره حجر الزاوية في الوجود البشري, لقد أراد الله للإنسان أن يكون خليفته في الأرض, فمنحه القدرة الفعلية على التعلم والمقدرة الجسدية على التنفيذ والعمل والإبداع والإرادة الحرة, لاختيار أسلوب الحياة التي يقوده إليها فكره ودوافعه النفسية والجسدية, ولكي لا يشعر الإنسان بالدونية , وتدور في خاطره أية فكرة عن سلبية دوره في العالم, فكانت مكانته إلى أعلى المصاف, وطلب من الملائكة أن يسجدوا له.(٤٧)أن التوجه الحضاري في القرآن الكريم يمتد إلى ما قبل آدم , إن كل فعل أمتزجت فيه إرادة الله وروحه وكلمته بالمادة فصاغتها كتلاً كونية ,أو نظماً طبيعية ,أو خلائق تحمل بصمات الحياة الأولى من نبات أو حيوان, ومادامت عملية بناء الكون وتهيئة الآرضية الصالحة للحياة على الأرض , قد سبقت خلق آدم بأزمان لا يعلمها إلا الله ,وما دامت المقاييس الآدمية تجيء دائما نسبية قاصرة محدودة إزاء خلق الله , فليس لنا أن نطمع للأحاطة الكاملة والتفسير الشامل لقضية (التكوين) هذه , وليس لنا , كذلك ,أن نفترض نظريات لا جدوى من ورائها , ان هذا كما يقول الدكتور عمادالدين فوق طاقتنا فهو يؤكد أن أي محاولة في سبيلة لا تعد ان تكون عبثاً , وهذا يشبه الى حد ما فعل الفلاسفة والإسلاميين المتأثرين بهم, أن التجربة البشرية أوسع دائما واغنى واشمل , من أن تحصرها حدود طبقية تقوم على فرض التشابه الجماعي بالقسر, ومجابهة كل تفرد أو تميز إنساني, لا يعدو مصيرها في نهاية الأمر أن يكون إنشاء مجتمعات لا تزيد في أنشطتهم ومعطياتهم عما نشهده في عوالم النحل والنمل نظم هندسية صارمة دقيقة , وعمل دائب و إنتاج متزايد.. أو أن تحصر هذه التجربة البشرية الواسعة الغنية المعقدة المتنوعة الشاملة, دولة عالمية يتجلى فيها النظم الوضعية ومبادئها الدنيئة التي تعمل من أجل المال فقط.(٤٨)وفي

جانب أخر بلغ تأكيد القرآن على العمل والجهد البشري لأعمار العالم , إن القرآن الكريم يحدثنا أن مسألة خلق الموت والحياة أساسا إنما جاءت لابتلاء بني آدم , أيهم أحسن عملا قَالَ تَعَالَىٰ:أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ الملك: ٢ (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) ، يقول تعالى ذكره: وهو الذي خلق السموات والأرض أيها الناس، وخلقكم في ستة أيام (ليبلوكم) ، يقول: ليختبركم (أيكم أحسن عملا) ، يقول: أيكم أحسن له طاعة.[٤٩] يقول الدكتور عمادالدين(ان موقف الأنسان في العالم سيؤول الى الخسران المبين بمجرد أفتقاد شرطية الأساسيين: الأيمان والعمل الصالح , ويصدر أمره الحاسم إلى الأمة المسلمة أن تلتزم دورها الايجابي الفعال في قلب العالم)[٥٠] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ **آل عمران: ١٠٤ – ١٠٥** قوله: {يأمرون بالمعروف} قال: «يأمرون بطاعة ربهم» ، {وينهون عن المنكر} ، قال: " وينهون عن معصيته يعني: عن معصية ربهم (ﷻ).(٥١)وهكذا تجيء التجربة الأيمانية لا لكي تمنح الحضارة وحدتها وتفردها وشخصيتها وتماسكها, وتحميها من التفكك والتبعثر والأنهيار فحسب , بل لكي ترفدها بهذين البعدين الأساسيين اللذان يؤول أولهما إلى تحقيق انسجامها مع نواميس الكون والطبيعة , وثانيهما قدرات إبداعية أكثر وأعمق , تتفجر على أيدي أناس يشعرون بمسؤوليتهم , ويعانون يقظة ظمائرهم , ويسابقون الزمن في عطائهم, لأنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر, نستطيع أن نقول في النهاية أن القرآن الكريم يدعو إل حضارة مزدهرة على جميع المستويات المادية والروحية ,وان كل آية أو مقطع قرآني يتناول مسألة طبيعية أو حيوية أو مادية ينتهي بأفعال التقوى والأيمان وبالدعوة إلى ربط أية فاعلية بالله , وهذا التأكيد المتكرر له مغزاه الواضح , إن المنطق التوازن الحركي الذي يرفض الأنحراف أو السكون هو القاعدة التي نلتمسها في القرآن الكريم بوضوح من خلال عدد كبير من آياته البينات والتي تكفل نمواً سليماً لأية حضارة تستطيع أن تحافظ على نقطة التوازن بين تجربتي الروح والمادة, ولا تنحرف بأتجاة إحدهما , مهملة الأخرى , أو ضاغطة عليها, ومستخدمة إزاءها أساليب القمع والكبت والتحديد, التوازن الذي يمكن الحضارة من الحركة الدائمة, لأن الأهداف التي يضعها أمامها تأخذ مستويات صاعدة لا يحدها أفق ولا يقف في طريقها تحديد صارم , إنها تبدأ بتأمين متطلبات الحياة اليومية المباشرة وتتقدم صوب أعمال الفكر في قلب العالم للكشف عن نواميسه.(٥٢)

الخاتمة

١. يربط الدكتور عمادالدين خليل وجود أصل الحضارة وبداية تشكلها مع ظهور الإسلام وتطوره فهو يرى أنه بداية تشكل الحضارة وبداية تأسيسها .

٢. يؤكد الدكتور عماد الدين إن التاريخ البشري لا يتحرك فوضى وعلى غير هدى، وإنما تحكمه سنن ونواميس كتلك التي تحكم الكون والعالم والحياة والأشياء سواء بسواء .

٣. إن أهم ما ميز أي حضارة هي قدرتها على الانبعاث من جديد, كما أكد الدكتور عمادالدين أن هذا ليس عبثاً أن تكون الحضارة الإسلامية الوحيدة من بين سائر الحضارات التي شهدها التاريخ البشري, التي لديها القدرة على الانبعاث والنهوض مرة ثانية وثالثة ورابعة في القرن العشرين أو الحادي والعشرين، لأنها تملك في أية لحظة شبكة شروطها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله(ﷺ).

٤. يعد الدكتور عمادالدين خليل من المفكرين المعاصرين الذين أضافوا وطورا منهجية الفكر الإسلامي المعاصر استجابة لتطور المخاطر الفكرية الوافدة والموجهة نحوالمجتمعات الإسلامية.

٥. يؤكد الدكتورعمادالدين إن بمقدور المسلم وهو يتفحص هذا الدين أن يلمح في تركيبه خطين متوازيين, كان وجودهما معا بمثابة حماية لذاتية الإسلام, وتمكين له في الوقت نفسه من التحرك والانفتاح لكي, يجابه سائر الحالات والمتغيرات.

٦. من مزايا فكر الدكتور عمادالدين خليل هو التعمق في دراسة وتحليل مخاطر الغزو الفكري الغربي, ومعالجته بواقعية ومعاصرة معززة بالحجج والبراهين.

المصادر والمراجع

١. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد , أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) , ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان , الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة , ١٤١٩ هـ .

٢. التفسير (تأويلات أهل السنة), محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي , ت . د. مجدي باسلوم , ط ١, دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان – ٢٠٠٥ م.

٣. تفسير القرآن, أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي , ت ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم, ط١, دار الوطن، الرياض – السعودية, ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٤. تفسير المظهري , المظهري، محمد ثناء الله , ت: غلام نبي التونسي , ط ١, مكتبة الرشدية – الباكستان ١٤١٢ هـ .

٥ ـ تفسير عبد الرزاق , أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني , ت: د. محمود محمد عبده, ط١, دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٤١٩هـ.

٦. تفسير مقاتل بن سليمان , أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ) , ت: عبد الله محمود شحاته ط ١ , دار إحياء التراث – بيروت – ١٤٢٣ هـ ,

٧. العقل المسلم والرؤية الحضارية, عماد الدين خليل, ط١, دار الحرمين للنشر.

٨. غرائب القرآن ورغائب الفرقان, نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري , ت: الشيخ زكريا عميرات ط ١, دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٦ هـ .

٩ ـ قالوا عن الإسلام , عماد الدين خليل , ط ١ , الندوة العلمية لشباب العالمي , الرياض , ١٩٩٢.

١٠ ـ كتاب الأصنام، هشام بن محمد بن السائب الكلبي، ط ٢، دار الكتب المصرية, القاهرة – ١٩٢٤م.

١١ ـ مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث , محمود محمد عيد نفيسة , ط ١, دار النوادر. بيروت ٢٠١٠.

مدخل إلى الحضارة الإسلامية , عماد الدين خليل , ط ١, دار العربية للعلوم, بيروت , ٢٠٠٥ م .

مدخل إلى الحضارة الإسلامية , عماد الدين خليل , ط ١, دار العربية للعلوم, بيروت , ٢٠٠٥ م , ص٩.

هداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه , أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش القرطبي, ت: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف: أ. د: الشاهد البوشيخي, ط ١, مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة- ٢٠٠٨ م.

هوامش البحث

---

(١) ينظر: اشهد ان لا اله الا الله, عماد الدين خليل, ط١ دار ابن كثير ٢٠١٩م, ص ٣٩. ٤٥.

(٢) ينظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية , عماد الدين خليل , ط ١, دار العربية للعلوم, بيروت , ٢٠٠٥ م , ص٩

(٣) ينظر: المصدر نفسة : ص١٣

(٤) ينظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية: ص١٤- ١٥

(٥) ابن الكلبي أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي ويكنى ابن الكلبي مؤرخ وعالم انساب واخبار العرب(الشيعة والتشيع – فرق وتاريخ, إحسان إلهي ظهير الباكستاني , ط ١٠, إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان- ١٩٩٥ م , ٩٠/١)

(٦) كتاب الأصنام، هشام بن محمد بن السائب الكلبي، ط ٢، دار الكتب المصرية, القاهرة – ١٩٢٤م, ص ٤٨

(٧) ينظر :المصدر السابق: ص ٤٨

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ص ١٨

(٩) ينظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية: ص ١٨

(١٠) ينظر: المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية , د. احمد محمد حسين الدغيشي, ط١, دار الفكر , دمشق , ٢٠٠١ , ص ١٣٣

(١١) ينظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية: ص ١٩

(١٢) ينظر: المصدر السابق, ص ١٨

(١٣) تفسير القرآن,أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم , ط١ ,دار الوطن، الرياض – السعودية ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م, ٤٣٨/٤

(١٤) ينظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية ص ٢١

([15]) ينظر: مبدأ السببية في الفكر الإسلامي في العصر الحديث , محمود محمد عيد نفيسة , ط ١, دار النوادر. بيروت ٢٠١٠ , ص ٦

([16]) ينظر: مدخل ال الحضارة الإسلامية: ص ٢١

([17]) تفسير الماوردي = النكت والعيون: ٣٤١/١

([18]) ينظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية: ص ٢٢

([19]) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي هو علَّامة فارسيٌّ ومن أئمة المعتزلة. (سير أعلام النبلاء: ١٥١/٢٠)

([20]) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٧٤/٣

([21]) غرائب القرآن ورغائب الفرقان, نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري , ت: الشيخ زكريا عميرات ط ١, دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٦ هـ , ١٤٢/١

([22]) التفسير المظهري , المظهري، محمد ثناء الله , ت: غلام نبي التونسي , ط ١, مكتبة الرشدية – الباكستان ١٤١٢ هـ , ١٤٧/١

([23]) مدخل إلى الحضارة الإسلامية, ص٢٢

([24]) ينظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية: ص٢٤-٢٥

([25]) تفسير عبد الرزاق , أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني , ت: د. محمود محمد عبده, ط١, دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٤١٩هـ , ١٤/٢

([26]) ينظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية: ص٢٤-٢٥

(٢) ينظر : تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة), محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي , ت . د. مجدي باسلوم , ط ١, دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان – ٢٠٠٥ م , ٤٩٠/٢

([28]) بنظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية, عماد الدين خليل, ٢٤-٢٥

([29]) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) : ٢٢/٤

([30]) ينظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية: ص ٢٥

([31]) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٤٥/٧

([32]) جامع البيان في تأويل القرآن, ٢٢٦/٢٤

([33]) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة), ٤٩٣/١٠

([34]) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم , ٢٣٢٣/٧

([35])مدخل إلى الحضارة الإسلامية , ص٢٨

([36]) المصدر السابق: ص٢٧

([37]) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه , أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش القرطبي, ت: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف: أ. د: الشاهد البوشيخي, ط ١, مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة– ٢٠٠٨ م, ١٢/٣

([38]) تفسير مقاتل بن سليمان, أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى , ت عبد الله محمود شحاته, ط ١, دار إحياء التراث – بيروت, ١٤٢٣ هـ, ١٠٢/١

([39]) تفسير القرآن, أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي , ت ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم, ط١, دار الوطن، الرياض – السعودية, ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م, ٤٤١/٥

([40]) ينظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية: ص٢٨

([41]) ينظر :العقل المسلم والرؤية الحضارية, عماد الدين خليل, ط١, دار الحرمين للنشر, ص ١٨

([42]) المصدر السابق: ص ٢٣

([43]) ينظر: قالوا عن الإسلام , عماد الدين خليل , ط ١ , الندوة العلمية لشباب العالمي , الرياض , ١٩٩٢ , ص ٣٣-٣٤

([44]) ينظر: العقل المسلم والرؤية الحضارية: ص ١١

([45]) تفسير مقاتل بن سليمان , أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ) , ت: عبد الله محمود شحاته ط ١ , دار إحياء التراث – بيروت – ١٤٢٣ هـ , ٢/ ٤٦١

([46]) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد , أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) , ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان , الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة , ١٤١٩ هـ , ٣٧٤/٤

([47]) ينظر: العقل المسلم والرؤية الحضارية: ١٤ – ١٥

([48]) ينظر: العقل المسلم والرؤية الحضارية : ص ١٨

([49]) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن , محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ,أحمد محمد شاكر , ط١, مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م, ٢٥٠/١٥

([50]) ينظر: العقل المسلم والرؤية الحضارية: ص ٢٦

([51]) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ,أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) ,أسعد محمد الطيب , ط ٣, مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية – ١٤١٩ هـ ,٦/ ١٨٣٩

([52]) ينظر :العقل المسلم والرؤية الحضارية: ص٣٢